فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء



فجرُ الهُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

١- آدم عليه السلام	٢- نوح عليه السلام
٣- هود عليه السلام	٤- صالح عليه السلام
٥- إبراهيم عليه السلام	٦- إسماعيل عليه السلام
٧- يُوسُف عليه السلام	٨- شُعيب عليه السلام
٩- أيّوب عليه السلام	١٠- يونس عليه السلام
١١- موسى عليه السلام	١٢- داود عليه السلام
١٣- سُليمان عليه السلام	١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام
١٥- عيسى عليه السلام	١٦- محمد صلى الله عليه وسلم

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُنيرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسُل الرحمة والإنسانية ، رُسُل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فَجرَ الهدى والإيمان ، صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أناروا ظلامَ عقول البشر، واقتلعوا منها الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إلهٍ واحدٍ لاشريك له ، بدءاً من آدمَ عليه السلام وإنتهاءً بخاتَم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمَّه من رُسُلٍ وأنبياء .

قال الله تعالى: (**وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَاثُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلمُؤْمِنِيْنَ**)

الناشر

دار القلم العربي
للأطفال

فجر الهدى والإيمان

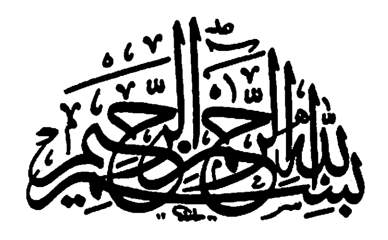
من قصص الأنبياء عليهم السلام

صالح عليه السلام نبي قوم ثمود



إعداد وترتيب : زهير مصطفى

مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني



منشورات

دار القلم العربي

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001 م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي

ص.ب:78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 21 963+

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صالح عليه السلام

هُوَ صَالِحُ بْنُ عُبَيْدٍ وَيَمْتَدُّ نَسَبُهُ إِلَى نُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، بَعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيّاً إِلَى قَوْمِهِ ثَمُودَ، وَهُمْ قَبِيلَةٌ مَشْهُورَةٌ سُمِّيَتْ كَذَلِكَ عَلَى اسْمِ جَدِّهِمْ ثَمُودَ، وَكَانُوا مِنَ العَرَبِ العَارِبَةِ، أَيْ مِنَ العَرَبِ الَّذِيْنَ عَاشُوا قَبْلَ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَتْ ثَمودُ تَسْكُنُ مِنْطَقَةَ الْحِجْرِ وَالَّتِي تَقَعُ بَيْنَ الحجَازِ وَتَبُوكَ، وَوَرَدَ ذِكْرُ ثَمُوْدَ فِي القُرْآن الْكَرِيْم، مَقْرُوْناً غَالِباً مَعَ ذِكْرِ قَوْم عَادٍ، وَنَبِيِّهِمْ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِي سُورٍ عَدِيْدَةٍ: كَسُوْرَةِ الأَعْرَافِ وَسُوْرَةِ هُودٍ وَالْحِجْرِ وَالإِسْرَاءِ وَالشُّعَرَاءِ وَالنَّمْلِ وَفُصِّلَتْ وَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ وَإِبْرَاهِيْمَ . . وَغَيرِها.

كَمَا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قَدْ أَخبَر عَنْهُمَا، وَفِي القُرْآنِ الْكَرِيْمِ مَايَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيْم:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[1].

---

(١) سورة إبرهيم (٨ ـ ٩).

صالح النبيُّ

وبَعْدَ أَنْ أَهْلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَومَ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بِأَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ رِيْحاً شَدِيْدَةً لاَتُبْقِي وَلاَتَذَرُ، وَذَلِكَ جَزَاءَ كُفْرِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ وَعِبَادَتهِمْ للأَوْثَانِ، وَنَجَّى الله هُوداً وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ. وَرِثَ الأَرْضَ قَوْمُ ثَمُوْدَ الَّذِيْنَ نَسُوا تَعَالِيمَ الأَنْبِيَاءِ السَّابِقِيْنَ، وَشَرعُوا فِي عِبَادَةِ الأَوْثَان وَالأَصْنَام دُوْنَ الله عَزَّ وَجَلَّ. فَأَرْسَلَ اللهُ نَبِيّاً جَدِيْداً، مِنْ بَيْنِهِم، إلاَّ أَنَّهُ كَانَ وَرِعاً، تَقِيّاً، مُؤْمِناً، صَادِقاً، ذَا أَخْلاَقٍ كَرِيْمَةٍ، وَمَكَانَةٍ شَرِيْفَةٍ، لَيْدعُوَهُمْ إلَى عِبَادَة الله عَزَّ وَجَلَّ، فَاطِرِ كُلّ شَيء وَلِيُذَكّرَهُم بِفَضْلِهِ وَنِعَمِهِ الكَثِيْرَة عَلَيْهِم، وَلِيَنْتَشِلَهُمْ مِنْ مُسْتَنْقَع الضَّلاَلَةِ وَالفَسَادِ وَالكُفْرِ، إلَى حَيْثُ الأَمَانُ وَالاطْمِئنَانُ، إلَى شَاطِىء الإِيْمَانِ بِالله عَزَّ وَجَلَّ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴾(١).

وَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ

(١) سورة الأعراف (٧٣).

هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾(١).

كُفْرُ ثمود

وَلَكِنَّ أَنَّى لِهَذِهِ القُلُوبِ المُتَحَجِّرةِ، والعُقُول الصَّدِئَةِ، أَنْ تَعْقِلَ، وَتَثُوب(٢) إلَى رُشْدِهَا فَقَدْ رَفَضَ قَوْمُ صَالحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، دَعْوتَهُ تِلْكَ، وَأَصَرُّوا عَلَى عِبَادَتِهِم للأَوْثَانَ، رَغْمَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ذَكَّرهُم بِأَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قَدِ اسْتَخْلَفَهُمْ عَلَى الأَرْضِ مِنْ بَعْدِ عَادٍ، لِيَعتَبِرُوا وَيَعْمَلُوا بِخِلاَفِ كُفْرِهِمْ وَعَمَلِهِم وَضَلاَلِهِم، وَسَخَّرَ لَهُمُ الأَرْضَ، يَبْنُونَ فِيْهَا القُصُوْرَ، وَيَنْحِتُونَها فِي الصُّخُورِ، لَكِنَّهُمْ قَابلُوا نِعْمَةَ الله بِالنُّكْرَان وَالصَّدّ. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ(٣) ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾(٤).

---

(١) سورة هود (٦١).

(٢) تثوب: ترجع.

(٣) آلاء: نعم الله.

(٤) سورة: الأعراف (٧٤).

ثُمَّ إِنَّ ثَمُودَ، عَجِبَتْ لِمَا يَدْعُوهُم إِلَيْهِ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَهُوَ العَالِمُ الْحَكِيْمُ، الَّذِي كَانُوا يَرْجُونَ فِيْهِ الخَيْرَ، فَكَيْفَ يَأْتِيهِمْ بِمَا يُخَالِفُ، دِيْنَ آبَائِهِمْ وَأَجْدادِهِمْ وَيَدعُوهُم إِلَى تَرك عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَعِبَادَةِ الإِلَهِ الْوَاحِدِ الأَحَدِ:

﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا ۖ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾(١).

وَيَطْلُبُ قَوْمُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنْهُ، أَنْ يَتْرُكَهُمْ وَشَأْنَهُم، فَهُمْ قَدِ اخْتَارُوا بِأَنْفُسِهِم آلِهتَهُمْ، الَّتي عَبَدُوْهَا مِنْ دُوْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَالَّتي لاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَضُرُّ، وَلَكِنَّ صَالِحاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى مَا يَطْلُبُونَهُ، وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدُعَائِهِمْ، بَلِ اسْتَمَرَّ فِي دَعْوَتِه لَهُمْ إِلَى عِبَادَةِ إِلَهٍ وَاحِدٍ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَكَيْفَ يَدَعُ دَعْوَتَهُ تِلْكَ، وَهُوَ النَّبِيُّ المُرْسَلُ لِهِدَايَةِ قَوْمِهِ وَإِنْقَاذِهِم مِنَ الضَّلاَلَةِ والْعَمَى، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾(٢).

وَجَرياً عَلَى عِادَةِ الكُفَّارِ وَالمُشْرِكِينَ، في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكانٍ، فَقَدِ اتَّهَمَتْ ثَمودُ نَبِيَّهُمْ صَالِحاً، بِأَنَّهُ مَا هُوَ إلاَّ سَاحِرٌ، وَقَالُوا لَهُ:

---

(١) سورة هود (٦٢).

(٢) سورة هود (٦٣).

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾(١).

وَرَدَّ عَلَيْهِم صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِيْ لم يَيْأَسْ، وَلاَ يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَيْأسَ، فَمَا هُوَ إلاَّ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ الله أَمِيْنٌ أَمرهُ أَنْ يُبلِّغَ رِسَالَتَهُ، رِسَالَة الْحَقِّ والْيَقِينِ رِسَالَة الإيْمَانِ وَالتَّوحِيْدِ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لاَيَطْلُبُ جَزَاءَ ذَلِكَ، مُكَافَأَةً أَوْ أَجْرَاً، فَهُوَ غَيْرُ رَاغِبٍ بِمَالٍ أَوْ قُصُورٍ، مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، فَمَا مَتَاعُ الدُّنْيَا إلاَّ الغُرُوْرُ، وَأَنَّ أَجْرَهُ وَمُكَافَأَتَهُ عَلَى رَبِّ العَالَمِيْنَ:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢).

وَلَكِنَّ قَوْمَ صَالِحٍ، ازْدَادُوا عُتُوّاً وضَلاَلَةً، وامْتَلأَتْ قُلُوْبُهُمْ كُفْرَاً وَغَوايَةً، فَعَمِيَتْ أَبْصَارُهُم عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِّ وَسَمَاعِهِ، فَهُمْ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ، لاَ يَفْقَهُونَ، واسْتَمَرُّوا فِي تَنكُّرِهِمْ لأَخِيْهِمْ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَفْضِهِمُ الانْصِيَاعَ لِنَصَائِحِهِ، وَالامْتِنَاعَ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَالأَصْنَام، لاَ بَلْ ذَهَبُوا مَذْهَباً جَدِيْداً فَهَاهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنْ يَأْتِيَهُم بِبُرْهَانٍ يُثْبِتُ صِدْقَ مَا يَدَّعِيْ،

---

(١) سورة الشعراء (١٥٣، ١٥٤).

(٢) سورة الشعراء (١٤١ إلى ١٤٥).

وَأَنْ يَأْتِيَهُمْ بِدَلِيلِ نُبُوَّتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَمَاذَا يَطْلُبُ هَؤُلَاءِ الطُّغَاةُ الجَبَّارُوْنَ المُشْرِكُونَ، مِنَ النَّبِيِّ صَالِحٍ علَيْهِ السَّلَامُ؟ إِنَّهُم يَطْلُبُونَ، أَنْ يُخْرِجَ مِنْ صَخْرَةٍ صَلْدَةٍ نَاقَةً لَهَا أَوْصَافٌ مُحَدَّدةٌ، كَمَا أَنَّهُمْ يُرِيْدُونَهَا أَنْ تَكُوْنَ نَاقَةً وَلوداً عُشَرَاءَ طَوِيْلَةً.

فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ـ أَوَكنْتُم مُصدّقيَّ إنْ طَلَبْتُ ذَلِكَ مِنَ الله، عَزَّ وَجَلَّ فَأَجابَكُم إِلَى طَلَبِكُم هَذَا؟ أَوَتُؤْمِنُونَ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ وَتَدَعُون عِبَادَةَ مَا لاَ يَنْفَعُكُم وَلاَ يَضُرُّكُم؟.

فَقَالَ قَوْمُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

نَعَمْ نُصَدِّقُكَ وَنَتَّبِعُ مَا جِئْتَنا بِهِ.

معجزة صالح

فَقَامَ صَالَحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَوجَّهَ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ، يَسْأَلُه أَنْ يُجِيْبَ قَوْمَهُ إِلَى طَلَبِهِمْ، عَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَيَرْجِعُونَ عَنْ ضَلاَلِهِم وَفِسْقِهِم.

فَأَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، تِلْكَ الصَّخْرَةَ العَظِيْمَةَ، أَنْ تَنْفَطِرَ عَنْ نَاقةٍ

ضَخْمَةٍ عُشَرَاءَ، وَمُطَابِقَةٍ لِلصِّفَاتِ الَّتِي طَلَبَهَا قَوْمُ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَعْلَمُ أَمْرَ ثَمُودَ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ضَلاَلٍ وَكُفْرٍ، وَيَعْلَمُ وَهُوَ أَعْلَمُ الْعَالَمِيْنَ المآلَ وَالنِّهَايَةَ، الَّتِي سَيَنْتَهِي إِلَيْهَا قَوْمُ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَلَكِنَّ حِكْمَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تَقْتَضِي ألاَّ يُعَذِّبَ قَوماً إلاَّ بَعْدَ أَنْ يُنْذِرَهُم وَيَبْعَثَ إِلَيْهِم رَسُولاً يَهْدِيْهِمْ وَيُرْشِدُهُمْ.

وَهَا هُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَسْتَجِيبُ لِطَلَب ثَمُودَ فَآمَنَ كَثِيْرٌ مِنْهُم، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُم عَمِيَتْ قُلُوبُهُمْ وَصَدِئتْ عُقُولُهُم، فَهَا هِيَ آيةٌ[1] مِنْ آيَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَظْهَرُ أَمَامَ أَعْيُنِهِمْ، الَّتِي بُهِرَتْ لِمَا رَأَتْ، وَهَا هِيَ النَّاقَةُ تَظْهَرُ أَمَامَ أَنْظَارِهِمْ، بِقُدْرَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِتَدُلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ الَّتِي لاَ تَحُدُّهَا حُدُودٌ، وَهَا هُوَ الدَّلِيْلُ القَاطِعُ وَالبُرهَانُ السَّاطِعُ، أَفَبَعْدَ هَذَا تَكْفُرُونَ أَيُّهَا الْجَاحِدُونَ المُشْرِكُونَ؟:

﴿ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾[2].

وَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[3].

---

(١) آية: برهان.

(٢) سورة: هود (٦٤).

(٣) سورة: الشعراء (١٥٥).

فَكَانَتْ هَذِهِ النَّاقَةُ امْتِحَاناً، وَفِتْنَةً لِهَؤُلاَءِ القَوم، بَلِ اخْتِبَاراً لِمَدَى صِدْقِهِم وَوَعْدِهِمُ الَّذِيْ قَطَعُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلِهَذَا قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ[1] ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴾[2].

فَكَانَتِ النَّاقَةُ فِيْمَا بَيْنَهُم تَرْعَى، حَيْثُ شَاءَتْ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَتَشْرَبُ مَاءَ الْبِئْر، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوا يَرْفَعُونَ حَاجَتَهُمْ مِنَ المَاءِ فِي يَوْمِهِم، لِغَدِهِمْ وَكَانُوا يَشْرَبُون مِنْ لَبَنِهَا كِفَايَتَهُم:

﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[3].

فَكَانَ المَاءُ قِسْمَةً فِيْمَا بَيْنَهُم، لَهُم يَومٌ، وَلَها يَومٌ. وَلَكِنَّ النَّاسَ ضَجُّوا مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ طَالَ الأَمْرُ عَلَى تِلْكَ الحَالِ، فَاجْتَمَع زُعَمَاؤُهُمْ وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَعْقِرُوا[4] هَذِهِ النَّاقَةَ، لِيَتَخَلَّصُوا مِنْها وَيَسْتَرِيحُوا فَيَتَوفَّرَ لَهُمُ المَاءُ، وَبِذَلِكَ وَسْوَسَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، وَخَالَفُوا أَمْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، عِنْدَمَا طَلَبَ مِنْهُم أَلاَّ

---

(١) أشر: البطر المتكبر.

(٢) سورة: القمر (٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧).

(٣) سورة الشعراء: ١٥٥.

(٤) يعقروا: يذبحوا.

يَمَسُّوهَا بِسُوءٍ:

﴿فَذَرُوهَا[1] تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[2].

وَكَانَ الَّذِيْ تَوَلَّى قَتْلهَا، مِنْهُم زَعِيْمُهُمْ: قُدَارُ بْنُ سَالفِ بنُ جُنْدُعٍ، الَّذِيْ رَمَاهَا بِسَهْمٍ، فَأَصَابَ مَقْتَلهَا، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

فَكَانَ قُدارُ بْنُ سَالِفٍ، مَعَ رَجُلٍ آخَرَ مِنْ قَوْمِهِ، قَدِ اتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِ النَّاقَةِ، ثُمَّ تَشَاوَرُوا مَعَ القَوْمِ، فَاسْتَجَابَ لَهُمْ سَبْعَةٌ آخَرُونَ فَصَارُوا تِسْعَةً، وَهُمُ الَّذِينَ وَرَدَ ذِكْرُهم في قَوْلِهِ تعالى:

---

(١) فذروها: دعوها.

(٢) سورة: هود(٦٤).

(٣) الشعراء (١٥٧، ١٥٨).

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[1].

وَلَمْ يَكْتَفِ هَؤُلاَءِ الْكَفَرَةُ بِقَتْلِ النَّاقَةِ بَلْ أَدْرَكُوا "سَقْبَها"[2] الَّذِيْ هَرَبَ عِنْدَمَا سَمِعَ رُغَاءَ[3] أُمِّهِ العَظِيْمَ، تُحَذِّرُ بِهِ وَلَدَهَا، فَاعْتَلَى جَبَلاً، إلاَّ أَنَّهُمْ لَحِقُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ. وَهَكَذَا وَصَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَاتِلَ النَّاقَةِ، بِقَولِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾[4].

وَمِمَّا يُرْوَى أَنَّ النَّبِيَّ، ﷺ قَالَ لِعَلِيّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ، كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

ألاَ أُحَدِّثُكَ بِأَشْقَى النَّاسِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: رَجُلانِ أَحَدُهُمَا أُحَيْمِرُ[5] ثَمُودَ الَّذِيْ عَقَرَ النَّاقَةَ . . .

---

(١) سورة: النمل (٤٨).

(٢) سقبها: أي ولد الناقة.

(٣) رغاء: صوت الناقة.

(٤) سورة: الشمس (١١، ١٢).

(٥) أحيمر: تصغير أحمر إذ كان ذا لون أحمر.

هلاك ثمود

وَتَمَادَى قَوْمُ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فِي كُفْرِهِمْ وَضَلاَلِهِمْ، وَخَالَفُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَسُولَهُ فَقَتَلُوا النَّاقَةَ، بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْ يَتْرُكُوهَا لاَ بَلْ ذَهَبُوا فِي غَيِّهِمْ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ فَقَد اسْتَعْجَلُوا العَذَابَ، وَقَالُوا لِلنَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي تَحَدٍ: فَلْيَحِلَّ العَذَابُ الَّذِيْ وَعَدتَنا بِهِ، إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى يُصَوِّرُ عِنَادَهُمْ هَذَا:

﴿ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1].

فَامْهَلَهُمُ النَّبِيُّ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، ثَلاَثَةَ أَيَّام غَيْرَ يَوْمِهِمُ الَّذِي قَتَلُوا فِيْهِ النَّاقَةَ، الَّتِي شَرَدَ عَنْهَا وَلِيْدُها، ثُمَّ رَغَا[2] ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

﴿ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾.

فَلَمْ يُصَدِّقُوهُ أَيْضاً، وَاسْتَبْعَدُوا أَنْ يَحِلَّ بِهِمُ العَذَابُ بَلْ سَوَّلَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، أَنْ يَقْتُلُوا النَّبِيَّ، صَالِحاً عَلَيْهِ السَّلاَمُ، هُوَ وَأَهْلَهُ مِنَ المُؤْمِنِيْنَ، ثُمَّ يُنْكِرُوا مَا اقْتَرفَتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ إِثْم، إِنْ طَالَبَهُ

---

(١) سورة: الأعراف (٧٧).

(٢) رغا: رفع صوته جزعاً على أمه.

أَهْلُهُ بِدَمِهِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[1].

وَصَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، فَأَنْفَذَ بِهِمْ عَذَابَهُ، وَأَرْسَلَ عَلَى أُولَئِكَ الْعُصْبَةِ، الَّتِي أَرَادَتْ قَتْلَ النَّبِيِّ صَالِح عَلَيْهِ السَّلَامُ، حِجَارَةً فَأَهْلَكَهُم، قَبْلَ قَومِهِم تَعْجِيْلاً لَهُمْ بِالْعَذَابِ، أَمَّا ثَمُودُ فَقَدْ أَصْبَحَتْ وَوُجُوهُ القَومِ فِيْهَا مُصْفَرَّةٌ فَلَمَّا حَلَّ المَسَاءُ قَالُوا:

هَا قَدْ مَضَى الْيَومُ الأَوَّلُ مِنَ الأَجَلِ المُنْتَظَرِ.

ثُمَّ أَصْبَحُوا فِي اليَومِ الثَّانِي، وَوُجُوْهُهُم مُحْمَرَّةٌ، فَلَمَّا حَلَّ المَسَاءُ قَالُوا:

هَا قَدْ مَضَى يَوْمَانِ مِنَ الأَجَلِ.

ثُمَّ أَصْبَحُوا فِي الْيَومِ الثَّالِثِ، وَهُوَ الْيَومُ الأَخِيْرُ مِنْ أَيَّامِ الأَجَلِ، وُوُجُوْهُهُم مُسْوَدَّةٌ فَلَمَّا أَمْسَوا قَالُوا: هَاقَدْ مَضَى الْيَومُ الثَّالِثُ، فَلَمَّا كَانُوا فِي صَبِيْحَةِ الْيَومِ الرَّابِعِ، وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ، أَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ منَ السَّمَاءِ، وَرجْفَةٌ عَنِيْفَةٌ مِنْ أَسْفَلِهِمْ، فَزُهِقَتْ أَرْوَاحُهُم وَهَمَدَتْ حَرَكَاتُهُم وَخَشَعَتْ أَصْوَاتُهُم، فَبَاتُوا فِي

---

(١) سورة: النمل /٤٩ـ ٥٠/.

دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ[1]، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ[2] بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[3].

وَنَالَ قَومُ النَّبِيِّ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِقَابَهُمُ الشَّدِيْدَ الَّذِي اسْتَعْجَلُوهُ وَجَزَاءَ كُفْرِهِم وَضَلَالِهِم فَاسْتَحَقُّوا ذَلِكَ. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ[4] بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[5].

وَهَكَذَا تَكُونُ نِهَايَةُ كُلِّ جَبَّارٍ أَثِيمٍ، تِلْكَ النِّهَايَةُ الَّتِي يَسْتَحِقُّهَا بِمَا قَدَّمَ فِي سَالِفِ أَيَّامِهِ وَرَغْمَ كُلِّ الآيَاتِ وَالبَرَاهِينِ السَّاطِعَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى عَظَمة خَالِق هَذَا الْكَوْن العَجِيْبِ، وَرَغْمَ النَّصَائِحِ

---

(١) جاثمين: مقيمين دون حراك.

(٢) خاوية: فارغة.

(٣) سورة: النمل(٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣).

(٤) الهون: المهين.

(٥) سورة: فصلت (١٧، ١٨).

الَّتِي قَدَّمها النَّبِي صَالَحُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لِقَوْمِهِ إلاَّ أَنَّهُمُ اسْتَمَرُّوا في كُفْرِهمْ وعِنَادِهمْ، فَيَلْتَفِتُ إليْهِمُ النَّبِيُّ صَالْحُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَائِلاً:

﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾.

وَلِهَذَا كُلِّهِ صَارَ قَوْمُهُ إلى هَذَا المَصِير المَحْتُوم، بِمَا يَكْتَنِفُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، أَمَّا المؤمِنُونَ الصَّالِحُونَ، فَقَدْ نَجَّاهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَنَالُوا نَعِيْمَ الدُّنيا وَالأَخِرة كَمَا يَقُولُ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[1].

* * * * *

---

(١) سورة: النمل (٥٣).